معوقات الفقه المهجري الأقلي

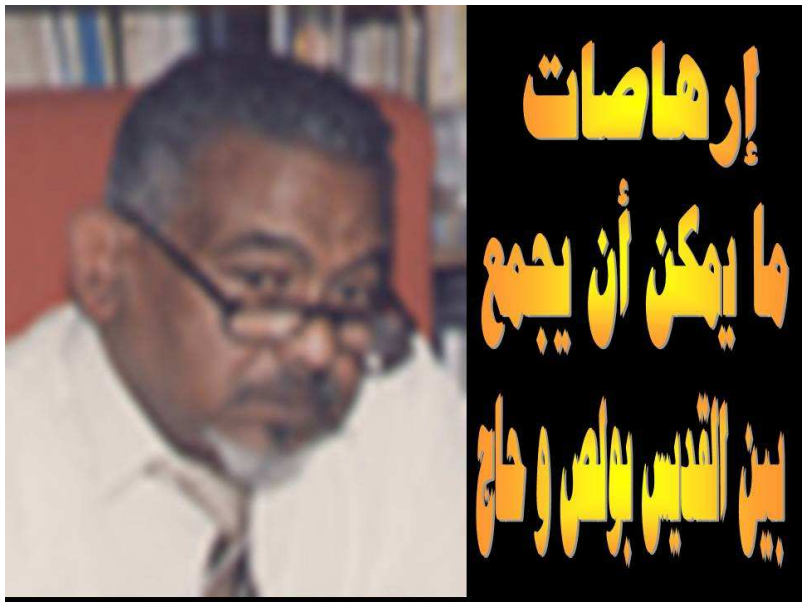

الجزء الثالث

إرهاصات ما يمكن أن يجمع بين القديس بولص و حاج حمد

لم تخرج مقاربة حاج حمد، على ما تقدم لنا في الجزء الثاني من هذه الدراسة عن رجع الصدى لعوالق الذهن اللاتي ترسخن في لا وعيه سواء من جهة ما ورث أو ما أضاف إلى ذلك بعد قراءاته المبتسرة لترجمات تجارية للعلوم، أثناء إقامته بلبنان، عندما كان ينشط كمستشار سياسي لأسياس أفورقي وكمورد سلاح للثورة الإريترية، حدود الاستهلاك النظري، ما دام حاج حمد والمعهد الذي رَكِب أفكاره من دون تدبر، يعجزان كل العجز، من خلال انشغالهما بالعلوم الهشة كالاجتماعيات وما شابه من العلوم الإنسانية، عن تمثل الإشكالية كما تمثلها أصحاب الشعار الأصليين، ولا حتى أن يبلغ بها أفقهم وإلى زمانهم للقيام بالشروط العملية المنهجية لحصول مثل هذا التمثل.

فما بالك وقد سالت مياه كثيرة تحت طاحونة العلم منذ ذلك الزمن الغابر، وتمت كشوف كونية وطبيعية هائلة!.

هذا بالإضافة إلى إشكاليات عقدية، لن تخطر قط على بال مسلم يفقه عن الله.

ذلك، أن *جون ري* مثلاً، تصور *البحث العلمي كنوع من العبادة في حد ذاته*!. وتصور صنوه الكيميائي *روبرت بويل الكون كمعبد والعالم أحد العبّاد بداخله*.

وهي تصورات كانت شائعة بين علماء بريطانيا المسيحيين، حتى أن *فرنسيس بيكون* (Francis Bacon) (1561م – 1626 م) **لم يكن يتوانى في الاستشهاد لمثل هذا المنحى بمقتطفات من سفر دانيال[1]:**

***{والعقلاء سوف يسطعون كأسطع نجم في السماء، وأولئك الذين يهدون الناس إلى الاستقامة سيكونون مثل النجوم إلى أبد الآبدين. لكن أنت يا دانيال، أمسك عن الكلام، واطوي الكتاب، إلى أواخر الأيام. الكثيرون سوف يأتون ويذهبون والمعرفة سوف تزيد}*[2]**

[1] العلم والدين ص. 22.
[2] سفر دانيال (12: 3 - 4)

بل لم تقتصر الظاهرة على علماء الطبيعة البريطانيين لوحدهم، بل امتدت، بسبب التواصل بين الأقطار الأوروبية الخارجة من تحت الوصاية الكنسية يومها، لتعم القارة الأوروبية كلها، كما نجد بعض رجع صدى لذلك، عند الفيلسوف الفرنسي ***روني ديكارت*** (René Descartes) (1596 م – 1650 م) الذي كان يقول بأنه:

{يكتشف القوانين التي وضعها الله في الطبيعة}

أو عند غيره من علماء أوروبا.

وسيقابل هذا التيار لدى الطبائعيين الأوروبيين من المؤمنين المسيحيين، وعلى حماسهم المفرط، لنصرة حقيقة الكتاب المقدس، في القرن التاسع عشر تيار آخر نقيض ملحد، ويمثله البريطاني ***ليون بليفير*** (Lyon Playfair) (1818 –1898) الذي صرح أمام جمع من أعضاء المعهد الميكانيكي البريطاني سنة 1835 م بقوله[3]:

{العلم دين وفلاسفته هم عبدة الطبيعة!}

ولا شك أن المفارقة في هذه المقاربة الثنائية لقراءة الكون على ضوء الكتاب المقدس، والكتاب المقدس على ضوء الكون، كانت تقتضي أولاً وأخيراً وثوقية وصدق ما ورد في الكتاب المقدس.

وهو ما كان يؤمن به أكثر العلماء المسيحيين إلى تلك الفترة الزمنية، وبدون خُلف، حتى أن ***روبرت بويل*** نفسه كان قد خصص في وصيته قبل موته بقليل، جائزة في يوليو 1691 م مقدارها خمسون جنيها تسلم سنوياً لكل خطيب أو منافح يُثبت فيها صحة الديانة المسيحية ضداً على مخالفيها من الدهريين، والإلهيين، واليهود.. ، بل ***وحتى المسلمين!!***.[4]

[3] الدين والعم ص، 31
[4] العلم والدين، ص. 157.

فالإسلام لم يكن غائباً من الساحة العقدية كما نرى، حتى مع غياب أهله، الذين كـــانوا إلى هذه الحقبة التاريخية، يقبعون تحت وطأة تخلف مزري ظل يلاحقهم وإلى اليوم.

وقد غاب عن مسلمي تلك الحقبة وهم في طور انحطاطهم، ما غاب على أصحاب المعهد في القرن الحادي والعشرين، حتى وهم يستحضرون الإشكالية من جديد، ويستوطنون أمريكـــا، بلاد العلوم والتدين المتزمت بامتياز!

وما ذلك سوى لعدم تمثلهم لإشكال تخلفهم بالذات، المتمثل في عدم تقديرهم لدور العلم النفعي التسخيري في تبوء مراقي الحضارة، ليكتفوا بالتهريج المؤدلَج بـــدل التفكيـــر المنـــتج الرصين!

والملفت، من وجهة نظر حضارية، هو أنه:

أ) بالرغم من بروز هذا الإّشكال ضمن البيئة الأوروبية التـــي ولدتـــه، بـــسبب الكشوف العلمية التي بدأت تظهر متناقضة مع ما جاء في العهد القديم، وأدت إلى تصدع في عقيدة المؤمنين التي ستفضي إلى نوع من الاســـتقطاب بـــين الدين والعلم،

ب) وبالرغم من تواري دور المسلمين في إنتاج العلم إلى هذه الحقبة المفـــصلية من التاريخ الأوروبي،

فلم يُعدم المسلمون من منصفين أوروبيين.

لقد كان من أبرز المنظرين لأطروحة *النزاعَ بين العلم والدين*": ***جون وليام دريبر*** (*John William Draper*) و***أندرو ديكنسون رايت*** (*Andrew Dickson White*) .

وقد ألف *دريبر* كتاب: ***تأريخ النزاع بين الدين والعِلم***" سنة **1874**، رَدّاً على المراســـيمِ البابويةِ التي ادعت ***العصمةِ للباباوات***، على غرار ما ادعاها من قبل بعـــض البلـــه المـــسلمين

لمهاديهم {أنظر كتابنـــا: *"المهدي اللا - منتظر لا عند اليهود ولا عند الشيعة ولا عند السنة ولا عند البرتغال"*}

وخص بنقدَه اللاذع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، بينما نـــوه فـــي المقابـــل بكـــون *المسلمين* و*البروتستانتيين* طوروا، كل على حدة، علاقات صداقة مع العِلْمِ.

وقد لخص *دريبر* جوهرَ الإشكال بين العلم والدين المسيحي في مقدّمة كتابهِ بقوله[5]:

إن تأريخ العلم لَيسَ سجلاً مجرّداً مِنْ الاكتشافات المَعْزُولةِ؛ بل هو قصة نزاع بين سلطتين متنـازعتين، القـوة التوسّـعية للفكـر الإنـساني مـن جهـة، والـضغط النـاشي مـن الإيمـان التقليـدي والمصالح البشرية من جهة أخرى.

قلت:

فإن أردنا أن نجدد الحوار الإسلامي – المسيحي ونأخذ به من حيث تركه بويل وجيله، فيتوجب علينا طرح السؤال المحايث التالي:

ترى! أين كمن الخطأ في قراءة بويل ومعاصريه، ويهم المسلمين معرفته؟

الإجابة المباشرة، تفترض الأخذ في الاعتبار بالبعد التاريخي للمسألة، ووضع أســباب طرح الإشكال في إطاره الصحيح، سواء ضمن الواقع الأوروبي للنهضة الذي ولده، أو من واقع رؤيتنا المعاصرة نحن ضمن إطارنا الخاص، وقراءتنا الأكثر خصوصية.

ومن هذا المنظور، فلا يمكن أن نلوم المؤمن: *بويل*، لا على حماسه العلمي الزائد، ولا على حميته الدينية المفعمة بالإيمان، وإن كان تاريخ صيرورة العلم سيثبت نقيض ما خصص له جائزته: أي عدم تطابق منطوقات الكتاب المقدس الحرفية مع مكتشفات الكون!

[5] **John William Draper, *History of the Conflict Religion*, D. Appleton and Co. (1881)**

لذلك، لن نتردد في نسبة الخطأ القاتل، بناءً على التراكم المعرفي الحاصل في أيامنا هذه، ومن موقعنا الحاضر في سلّم المعرفة، إلى عدم اكتراث *بويل* وأجيال قبله لظاهرة أن القرآن الكريم، كان قد صرح، ومنذ قرون بأن الكتاب المقدس شابه التحريف!.

هذا مع العلم أنه إلى زمن بويل ومن بعده وإلى يومنا هذا، ظلت غالبية النخبة المسيحية، سوى في النادر، تعتبر المسلمين مجرد هراطقة، وكتابهم مجرد إملاء على رسول الإسلام إما من طرف *حبر يهودي*، كما سيقول بذلك بعض اليهود المتأخرين الذين اشتغلوا بالاستشراق، حال الربي اليهودي الألماني *أبراهام غايغر* (Abraham Geiger) (1874 - 1018) **الذي ألف كتاب: "*ماذا أخذ محمد من اليهود!؟*" (*Was hat Mohammed aus dem Judentume aufgenommen?*,) سنة 1833، والذي سيصبح نمطاً للاستشراق اليهودي، لإبعاد خرافهم عن تلمس الحقيقة، كما سنجد عند تشارلز كوتلر توري (CHARLES C. TORREY) بجامعة ييل الأمريكية في كتابه: "الأسس اليهودية للإسلام" !!! (Jewish foundation of Islam) الذي أصدره سنة 1933[6]، قرناً بعد كتاب غايغر. انظر كتابنا: "العبدوية والتحضين الاستشراقي للفيروسات الثقافية: طه حسين نموذجاً"** **.**

أو عن راهب مسيحي، بحسب ما ابتدع بعض آباء الكنيسة الشرقية بحكم ملامستهم الأولى واحتكاكهم المباشر مع الإسلام، سواء من خلال كتابات القديس يوحنا الدمشقي (54 هـ/675م- 122 هـ/741م) **الذي اشتغل جده سرجون كرئيس ديوان المالية أيام معاوية بن أبي سفيان (ت: 60 هـ) وقال بأن "*الإسلام*" ما هو سوى هرطقة مسيحية!!.**

وستتطور هذه الأسطورة لاحقاً إلى نمط جدلي تبريري للدفاع عن المسيحية أمام نجاحات الإسلام.

---

[6] أنظر مقالته على هذا الرابط: {**http://www.truthnet.org/islam/Jewish** / }

ومفاد الأسطورة هو: أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم على يد الراهب النسطوري سرجيوس بَحيرا، مدعين أنه أخذ منه بعض المعلومات الأساسية في التوراة والإنجيل، ثم بعد ذلك أعلن نفسه نبياً وكوّن عقيدة خاصة به!

واسم "بحيراً" الذي يعني باللغة الآرامية: "المُختار" ورد ذكره في سيرة ابن هشام من أن النبي ﷺ عندما كان سنه 12 سنة خرج مع عمه أبي طالب في تجارة له فلما نزل الركب بمدينة بصرى الشام، لاحظ راهب اسمه بحيرا من صومعته التي كان يترهب فيها أن محمدا الشاب كانت تصحبه غمامة تظلله وان الشجرة التي جلس تحتها امتدت أغصانها كي تظله.

الأمر الذي جعل بحيرا يُقدم طعاماً للركب ثم أخذ يستفسر عن أحوال الرسول ﷺ ممن رافقوه إلى أن قال لهم بأنه سيكون له شأن وبأنه النبي الموعود في التوراة من سفر التثنية.

ويذكر أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في تاريخه: "مروج الذهب ومعادن الجوهر" (1: 246)، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1966: أن اسم الراهب هذا هو جرجس من قبيلة عبد القيس!

أما نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (975 هـ - 1044هـ) فيقول في سيرته النبوية الموسومة: "*إنسان العيون في سيرة النبي المأمون*" أو "السيرة الحلبية" اختصاراً (1: 157) بأن: اسمه كان "جرجس" أو "سرجيوس".

ومن خلال هذه المعلومة سيؤلف الربان إيشوعياب بن ملكون الدنيسري (ت: 654 هـ/1256م) مطران نصيبين وهو مسيحي سرياني من القرن الحادي أو الثاني عشر الميلادي كتاب: "*سفر بحيرا*" الذي توجد منه نسخ بالسريانية والعربية مكون من ثلاثة مجلدات:

1) المجلد الأول: فيه ذكر لقبائل العرب التي شاهدت سرجيوس في جبل سيناء! وعن لقائه بمحمد ﷺ،

2) **والمجلد الثاني: يتحدث فيه عما زود به الراهب محمداً من معلومات التوراة والإنجيل! التي سيستخدمها محمد ﷺ لكتابة القرآن وبأن يجعل من العرب أمة تؤمن بإله واحد، حسب هذا التخريج الإيديولوجي،**

3) **والكتاب الثالث: يتحدث عن رؤى نشورية للأزمنة القادمة حيث يحكم العرب إلى قدوم المسيح عليه السلام.**

والغرض من تأليف الكتاب هو إظهار زيف دعوة النبي ﷺ وأنه كاذب! وتلقى وحيه من راهب منشق هرطقي!!.

وهي أسطورة سيرددها مسيحيو الشرق والغرب لقرون، دون أن يسائلوا أنفسهم:

كيف أن كل الوقائع التي ترد في القرآن وتتقاطع مع ما ورد في التوراة أو الإنجيل تصدق دائما وتتطابق مع ما يقول به القرآن وتكذب وتناقض كل ما جاء في الكتابين المقدسين؟..

هذا على الأقل أجابت عنه الوثيقة رقم 4 لفاتيكان الثاني (1962 - 1965) التي اعترفت بحصول التحريف في الكتب المقدسة.

وهو الشيء الذي ما كان ليصدق بإمكان حصول مثله مبتدع أسطورة "بحيرا"، الذي له رسالة: "*رسالة في البراهين على صحة الإنجيل!!*".

وهو ما فندته وكذبته وثيقة الفاتيكان الأخيرة بعده بسبعة قرون!.

وانظر باقي هذه التصورات التي ابتكرها المسيحيون في خلق صورة للإسلام وللرسول وللمسلمين عند *أليكسي جورافسكي* **في كتاب: "** *الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم*

" ترجمة د،خَلف محمد الجراد، سلسلة "عالم المعرفة" رقم 215، الكويت.

يقول أليكسي جورافسكي:

" وإذا كنا نتفق على واقعة أن التصورات الأوروبية عن الإسلام تشكلت ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر للميلاد، فإننا يجب أن نشير إلى حقيقة أن هذه التصورات تكونت في كثير من جوانبها وخطوطها الكبرى على خلفية التفسير المسيحي الشرقي للعقيدة الإسلامية."[7]

ويضيف:

" وبشكل عام فقد تكونت في وعي الأوروبيين في القرون الوسطى ملامح اللوحة التالية عن الإسلام:

إنه عقيدة ابتدعها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، إنها دين الجبر والانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشهوات الحسية، إنها ديانة العنف والقسوة... ورسم الإسلام على هيئة نموذج قبيح سيء يتعارض ويتناقض كلياً مع النموذج المثالي للمسيحية بوصفها ديانة الحقيقة، التي تتميز بالأخلاق الصارمة وروح السلام، وبأنها عقيدة تنتشر بالإقناع وليس بقوة السلاح"[8]

ولا زالت الكنائس المسيحية وإلى اليوم لا تعترف لا بنبوة الرسول ﷺ ولا بكتابه!!!.

وهو ما دفع بنا، مادام لا يفل الحديد سوى الحديد، إلى كتابة مقالة تحت عنوان: "تحديد الزمن المطلق لخروج الإسرائيليين من مصر"، يأتي القرآن فيها بمعلومات لا وجود لها في العهدين القديم أو الجديد، مما يضعه على رائزية التصديق والتكذيب العلميين بامتياز، كما حلم بذلك منظر المعرفة (الإبيستيمولوجي)

وفيلسوف العلوم كارل بوبر (1902-1994) ولم يتحقق في أي ميدان آخر، خارج تصديقات القرآن الكريم!

فانظر المقالة على موقعنا هذا (الصورة الأولى).

[7] [أليكسي جورافسكي ـ الإسلام والمسيحية ـ عالم المعرفة عدد 215 طبعة تشرين الثاني 1996 ـ الكويت، ص 60.

[8] نفس المرجع، ص. 65.

لذلك، فمجرد التفكير في مثل هذا الاحتمال: أي كون الكتاب المقدس شابه التحريفً، كان حقيقاً أن يفضي بصاحبه إلى اتهامه إما بالتجديف أو بالهرطقة، وأن ينتهي بالتالي إلى شعلة من شعل الرب فوق خازوق محارق الكنيسة التي لا ترحم (الصورة أعلاه)!.

ومن هنا، فرجوع المعهد العالمي للفكر الإسلامي القهقرى إلى القرن السابع عشر الأوروبي، للنبش في مفهوم القراءة المزدوجة المتطابقة بين الكتاب المقدس والكون، وإشكالاتها من جديد، دون أن يلم بخلفياتها وحيثياتها اللسيقة، ليسبغ عليها التصديق المطلق الذي اكتسبته بالقرآن، بعد أن خذل العلماء المسيحيين الكتاب المقدس بالذات لطروء التحريف عليه، قصور منهجي ما فوقه قصور.

وقد أدرك **حاج حمد** هذا التنابذ ما بين القراءة العلمية والقراءة الشطحانية العرفانية التي يروج لها فقال، بعد وقوفه على انتقادنا له، مُرمما لفكرته الأولى التي اثبتناها من قبل في مقرر المعهد العالمي للفكر الإسلامي التي تؤدي هنا دور الوثيقة التاريخية:

فالجمع بين القراءتين ليس كما ذهب إليه البعض قراءة في كتابين: الأول كتاب القراءة والوحي، والثاني كتاب الكون المتحرك؛ بحيث تفضي قراءة القرآن إلى الكليات وتفضي قراءة الكون المتحرك إلى التفاصيل، ثم تفضي بنا القراءتان إلى الإيمان. ففي هذا القول تبسيط لحقيقة هذا المنهج!!!!!، وتضييع له بذات الوقت!!!!!.

فالإنسان بالقراءة الثانية يتعرف على الظواهر الطبيعية ويقرأ قوانينها ويتعرف على التاريخ والتوزيعات الجغرافية والبشرية وكافة أنواع العلوم، مثله في ذلك مثل أي إنسان في كل مكان في العالم وفي أي مدرسة أو جامعة.

أما القراءة الأولى، فإنها ليست معنية بذلك ولا تبحث في القرآن عن دالة أو دلالات لهذه الظواهر في ما يسمونه التفسير العلمي للقرآن، وإنما تبحث القراءة الأولى في أمر آخر هو (**الإرادة الإلهية المرتبطة بالحكمة!!!!!!!**) في كل ذلك ومن كل ذلك والمؤشرات الدالة على ما يتجاوز قدرات العلم البشري، كمؤشرات وليس كمعرفة، فما جئنا به في سورة الرعد أو سورة فاطر أو عندما يحدثنا القرآن عن العسل أو اللبن أو النفس إنما هي (مؤشرات) للدلالة على **اللامتناهيات الخلقية!!!!!**، وليس مساقات تحصيل علمي؛ فللتحصيل العلمي شروطه الموضوعية العلمية، فلا نكون كمن يسأل الرسول(ص) عن الأهلة فذاك دخول للبيوت من غير أبوابها.

مقاربة فهم الإرادة الإلهية عبر القراءة الأولى من القرآن والمتحققة في ظواهر الوجود وحركتها، مكانها وزمانها، لا تعني قط –كما فهم البعض- مضاهاة القرآن ككتاب مقروء بالكون ككتاب متحرك. وهذا ما يزعجني في ما انتهى إليه الذين تناولوا كتاباتي حول الجمع بين القراءتين منذ عام 1979 وإلى اليوم.

ليضيف بعد هذه الإلماعة:

وتعلُّم القراءة الأولى لا يتم عبر منهج موضوعي محدد بشروط، وإنما يستمد القراءة الأولى من طبيعتها بوصفها قراءة بالله، تتم بتقوى الله في ما نقدر عليه، وبرجاء رحمة الله وغفرانه في ما لا نستطيع. فالقراءة الأولى قراءة (عبودية)، لا ينالها من يريد علواً في الأرض وطغياناً، ولا ينالها من يفسد في الأرض ويسفك الدماء... ومَرَاقِيها لا تقل عن مشقة المراقي العلمية الاختبارية في معمل الكيمياء، فلكل درب مسالكه ومشاقه، العابد يلح على الله كما يلح العالم على المادة ويحللها ويفككها.

ولا تعتبر نتائج القراءة الأولى المستمدة من منهج غيبي موجهات ملزمة لمن يستمع إليها، إلا أن يسمعها وتقع في روعة ويكون له نصيب فيها، علماً بأن القراءة الأولى لا تعتمد على تأويلات ذاتية باطنية!!!!!؛ إذ تستند إلى مرجعياتها في القرآن نفسه، وهي مرجعيات ندخل إليها بعد الهدى الإلهي (إقرأ بإسم ربك الذي خلق) متعززين فيها بآليات حديثة ومستحدثة لفهم القرآن وبما يقارب النهج الإبستمولوجي نفسه. فبهذا النهج يتعزز الفهم ولكن ليست هذه الآليات المساعدة هي المدخل الحقيقي؛ إذ إنها معززة ومساندة ومساعدة، مثال الحفر المعرفي والألسنية المعاصرة والتاريخانية، بحيث نستدل على الوحدة المنهجية العضوية الضابطة لكل آيات الكتاب وامتناع فعل الناسخ والمنسوخ وفعل المترادف والمشترك في لغة القرآن!!!!، وإعادة اكتشاف معاني، بوجوه أخرى، لذات النص القرآني المطلق إنطلاقاً من أن القرآن مكنون، ومجيد، وكريم، ومطلق، وكوني متميز عن سائر الكتب السابقة عليه، بوصفه كتاب الأرض الحرام وليس المقدسة، والمتنزل مع خاتم الرسل والأنبياء(ص) الذي آتاه الله السبع المثاني والقرآن العظيم، وأيده بالروح القدس وجعله أول المسلمين، وميَّز رسالته بخصائص لم تتوافر لمن قبله ولا تتوافر لمن بعده.

فالآليات المعرفية الإبستمولوجية المعاصرة تشكل قوة إسناد لدعم القراءة الأولى ولكنها ليست مصدرها؛ لأن مصدر القراءة الأولى يُستمد من ذات طبيعة القراءة الأولى؛ أي العبودية لله سبحانه وتعالى.

 قلت:

انتهينا من خناقك يا حاج حمد، وتغمدك الله برحمته الواسعة، ما دام كل إنـــاء بمـــا فيـــه يرشح، وحيث تحولت الابستومولوجيا، والتاريخانية الجرامشية إلى معارج للسالكين!

وهل فعل ابن عربي غير هذا، حين اكتشف بمنهجه في لي اللغة وتعطيل مداليلها القاموسية، أن فرعون لم يكفر قط وظل مؤمناً وأن إبليس لم يعص الله قط وظل مهتدياً!!!! على خلاف ما يقول به النص القرآني، بدعوى أن لكل ظاهر باطن، على عكس ما آمن به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وكل الأجيال بعدهم.

ولعل ما يحز في نفسي، أن اشتكى رحمه الله من انتقادي له، وإن لم يراسلني مباشرة بذلك، حتى أني لم أقف على ذلك سوى الآن من خلال موضوع حمل عنوان: "العلواني يخفي في

نفسه ما الله مبديه: محمد أبو القاسم حاج حمد" ونشره صاحبه على الرابط التالي {http://nuri.maktoobblog.com} بتاريخ يوم الخميس 7 حزيران 2007 جاء فيه:

وقد شمله (أي طه جابر العلواني) الهجوم وإياي (أي حاج حمد) في كتاب " **الانقلابات البولصية في الإسلام** – المعهد العالمي للفكر الإسلامي نموذجاً " – للدكتور " محمد عمراني حنشي " حيث ماثل جهودنا في الإسلام بجهود "بولص " في المسيحية حين أدخل عليها "عقيدة التثليث" ومد الهجوم للمرحومين!!!!!!!!!! الشيخ " محمد الغزالي " ومن قبله الشيخ " محمد أبو زهرة " و " محمد عبده " وكل تلامذته ومن تأثر به في الماضي والحاضر.

قلت (عمراني): تستوجب هذه الفقرة ثلاث ملاحظات:

أولاً: لنبدأ من حيث انتهى حاج حمد رحمه الله هنا، من باب فلي رأس الأصلع، قبل أن أفصل القول في صلب ما ادعيته عليه وعلى المعهد بدليله ولا زلتُ.

أقول: هل يقول مسلم عاقل يفقه عن الله ورسوله في حق ميت: "المرحوم"!؟، حاجبين عنه الرحمة بهذا القول المبتدع المتطاول على الله، بدل الترحم عليه، كما هو مظنون بكل مسلم؟

وهي بدعة تنم عن أمية دينية شائنة، لا تختلف لا في الدرجة ولا في النوع عما يلهج به بعض الأميين الدينيين المغاربة في حق المفسد بإطلاق: الحسن الثاني : حيث بدل أن يطلبوا له الرحمة وهو أحوج ما يكون إليها وقد أفضى إلى ما قدم، تجدهم، وقد زُين لهم منعها عنه لا يذكرونه سوى مسبوقاً بجملة: "المغفور له!!!!"

وأنى يُغفر له! والآلاف المؤلفة من ضحاياه، تشكوه إلى بارئها، حائلة في المطلق دون ذلك!؟

ثانياً: لاحظ لجوء حاج حمد إلى استعباط قارئه، بجلب ثلة من المشايخ الآخرين للتكاثر والتظاهر بهم، دون إعطاء السبب الذي جعلني أكبكبهم جميعاً في سلة واحدة ؟

وهي، مع الأسف، من تكتيكات ما ألف حاج حمد رحمه في ميدان السياسة التي أفنى فيها دهره، وإن كانت لا قيمة لها بمعيار من لا تأخذه في الله لومة لائم في مجال النقد بدليله كبر أم صغر.
بل غالباً ما يلجأ من يتعرض لنقدنا من الهيئات أو المشايخ أو الأتباع، حين يعترض عليهم معترض بمقولة لنا في حقهم، بأن يقفزوا فوق السؤال ويتجنبوا الخوض فيه بردود فيها الكثير من التدليس والتمويه على محاوريهم بقولهم:

إن الدكتور ينتقد كل المشايخ!،

دون أن يعرج على صلب الانتقاد في حد ذاته، ليحلله ويناقشه حتى يتبين السائل الخيط الأبيض من الخيط الأسود في انتقادنا!
وهي آفة من آفات التخلف، التي تكرس التكلس والتضبع!

ثالثاً: نوجز بعض الملامح العرفانية والدينية التي تجمع ما بين نهج حاج حمد ونهج بولص كخلفيات في اللوح المقارن التالي:

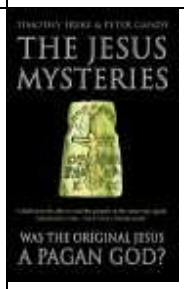

بولص	حاج حمد
 معروف بغنوصيته قبل ادعاء إيمانه بالمسيح عليه السلام، في حادثة "رؤية المسيح لطريق دمشق" التي لا يرويها أحد سواه! {الجالاتيين (1: 15-16) والكورنثيين الأول (15: 8-11)} ويرى البَعْض بأنه من المحتمل أن يكون من أتباعِ الغنوصية الميثرائية (نسبة إلى "ميثرا" (Mithras) وهي ديانة حظيت بشعبية في الإمبراطورية الرومانيةِ في القرن الأولَ خصوصاً في بلدةِ بولص: طرسوس (Tarsus) ويقول فريك وغاندي: وقد ولدت الإسرارية الغنوصية الميثرائية في طرسوس. ولا يمكن تصور أن بولص كَانَ غافلا عن التشابهاتِ الرائعةِ التي إستكشفنَاها ما بين المذاهبِ المسيحيةِ وتعليماتِ الميثرائيةِ. [هامش] كَانَت طرسوس عاصمة قيلقبية (Cilicia)، حيث، بحسب لبلوتارك (Plutarch) (46 125 م)، كانت الأسرارية الميثرائية تزاول بحدود 67 م. أنظر: "Jesus Mysteries" by Freke & Gandy [more info], p199	ولد وترعرع في وسط طرقي ينتمي إلى الطريقة الغنوصية "الخَتمية" المتدثرة ببراقع الإسلام. وقد تسمت الطريقة بهذا الاسم، لأن مؤسسها ادعى ما ادعاه كثير من مخرفة الصوفية، في كون شيخ طريقتهم هو خاتم "الأولياء"، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم "خاتم الأنبياء"!!!!! فإذا كانت "خاتمية الرسول ﷺ" مصرح بها في القرآن الكريم، فخاتمية ما يسميه المتصوفة ب "أولياء الله" وهم إلى ولاية الشيطان أقرب من حبل الوريد، ادعاها كل شيخ طريقة لنفسه! مع أنها ما أنزل الله بها من سلطان!
ينتمي لفرقة الفارسيين وملم بالتراثية الدينية اليهودية. وقد تخرج على يد أكبر حبر يهودي معاصر للمسيح عليه السلام وهو غمالائيل {أعمال الرسل (22: 3)}، حيث يقول بولص : " إنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية و لكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي و كنت غيورا لله كما انتم جميعكم اليوم"	ينتمي لتيار ما يعرف ب "القرآنيين" أي: الذين يكتفون بالقرآن لوحده، بمعزل عن تبيان سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وملم وعصامي بالتراثية الفكرانية للفرق الإسلامية مع جهل تام بالسنة.
له إلمام بالفلسفة الرواقية بحكم كونه من يهود الشتات المقيمين بين الإغريق. ونقرأ في الموسوعة البريطانية: بالرغم من وجود خلافات كثيرة حول التأثيرِ الرواقيِ على كتاباتِ القديس	له إلمام بالتراثية العرفانية مما أشرب في الصغر وأضاف لها في الكبر وبالفلسفة

بولص. فلا شك أن بولص كانت لديه بالتأكيد فرصٌ للاستماع للمحاضرات الرواقية حول الفلسفة. وربما كانت مُناقشته حول الطبيعة والتعلم منها (سفر الكورنثيين الأول (14:11) رواقيّة في الأصل، لأن لها ما يوازيها في دليل إبيكتيتوس (Manual of Epictetus) (1.16 ، 10) بالرغم من كون (الأخير) ليسَ بكتاب رواقي ... أنظر: "الموسوعة البريطانية" (Encyclopaedia Britannica) تحت عنوان:"الرواقية القديمة: العناصر الرواقية في الفكر البولصي والآبائي" Ancient Stoicism: Stoic elements in Pauline and patristic thought	**الغربية بعد أن فقدت الذات والموضوع، بحسب القراءات المعاصرة الرائجة في الغرب والتي انحدرت مختزلة إلى المثقفين العرب المحسوبين على اليسار.**
رؤيته الدينية التي أورثها الكنيسة من بعده مزيج من اليهودية والإسرارية الشرقية مثل إزيس وأوزوريس المصرية، وميثرا.	**رؤيته الدينية مزيج من الإسلام المدغول برؤية صوفية–فلسفية–تلفيقية.**
توجه بخطابه إلى المسيحيين الجدد، لعدم إمكان إقناع اليهود الأصليين أو المتحولين من بينهم إلى تعاليم المسيح عليه السلام، من أصحاب مجمع الحواريين بالقدس.	**توجه بخطابه إلى الطلبة غير المحصنين عقائدياً بسبب ضعف إلمامهم بالسنة، والمتأثرين بالمنظومة الفلسفية الغربية في الفكر، التي درسوها كطلبة على جيل المتعاطين للدرس الفلسفي، أصحاب المشاريع النهضوية الفاشلة.**

وظاهر من اللوح التوازي بين السيرتين، حيث أن بذور الانقلابية التي تجمعت في تعاليم بولص وقُدِّر لها أن تقلب الطاولة على الحواريين البسطاء، متوفرة بنفس القدر في العجنة التفسيرية والهجنة التأويلية العرفانية لدى حاج حمد.

وهذا هو وجه الشبه الذي حملني على انتقاد نهجه والمعهد معه، وكلفني كضريبة تعكير الصفو بيني وبين المعهد وبعض الجفاء، مما قد جربنا مثله في بلاد أخرى.

وأضاف رحمه الله:

القرآن:هل هو مصدر نظريات وإعجازعلمي أم مصدر مؤشرات منهجية ؟

الذين تعاملوا مع القرآن كمصدر للنظريات العلمية التطبيقية والإعجاز العلمي يماثلون الذين تعاملوا مع خاتم الرسل والنبيين كطبيب وجراح أيضاً بما نسبوه إلى مقامه المعصوم من " فصد " و "كي " وأعشاب معينة . فهذه ملصقات لا علاقة لها بالقرآن ولا بالنبوة ، وإنما هي للارتزاق.

قلت (عمراني):

إن حاج حمد لم يقرأ ما سطرنا في كتابنا: "الجدل العقائدي في العلوم: علم الكونيات نموذجاً". ولا غرو فهو يستعصي عليه ما استعصى على طه جابر العلواني قبله، على ما سيأتي.

لذلك، وكصاحب علوم هشة، فلا يمكنه تصور ما لم يُحط به خبراً، مادامت قد انغلقت عليه مفاتيح: "يوم يأتي تاويله" أي مطابِق منطوق النص القرآني في عالم الأعيان الذي لا يتعداه إلى غيره، والمحول للنص في آن من نص متشابه إلى نص محكم.

أما سؤاله:

" هل القرآن هو مصدر نظريات وإعجاز علمي أم مصدر مؤشرات منهجية"؟

فالجواب البسيط:

القرآن، هو كل هذه وزيادة لمن يفقه عن الله فعلاً دون شطح أو ردح، وهو ما لا يتسع المجال للتمثيل له في هذه العجالة.

وأضاف رحمه الله:

إنه من خصائص القرآن انه يقدم مؤشرات منهجية كونية للخليقة والتكوين حين يتحدث عن التخليق الكوني للإنسان والنفس فيما تعرض له سورة الشمس من متقابلات كونية متفاعلة جدلياً وبما يجعل حرية الإرادة الإنسانية والاختيار من أصل التكوين فلا نعود لمناقشات " **المعتزلة والأشاعرة والجهمية** " في الجبر والاختيار ولكن لا يفصّل لنا القرآن الجوانب العلمية التطبيقية لهذا التفاعل الجدلي الكوني في سورة الشمس، فهذا عمل علماء الطبيعة وكلهم من أبناء الحضارة الغربية وليس بينهم من يكتب في الإعجاز العلمي للقرآن.

قلت (عمراني):

المعتزلة، الذين ابتدعوا القول ب "خلق القرآن" متابعين للفيلسوف اليهودي الاسكندراني المعاصر للمسيح عليه السلام: فيلون **في "الخلق" {أنظر جوابنا على الإسبانية "نتاليا" في القسم الإنجليزي على موقعنا هذا} والأشاعرة[9] الذين نافحوا عن الدين بنظرية الذريين الإغريق، لا يهمون عصرنا لا كموضوع ولا كإشكال. وهي مَلوكات المتخلفين بامتياز خارج عصرهم وخارج نبض برنامج**

[9] وانظر جهلة وزارة الأوقاف المغربية، التي تقول بأن المغاربة صار لهم ثالوث: مالك، والجنيد والأشعري بدل الكتاب والسنة فقط!

الوجود. أما نحن فقد أتاني الله في عصرنا من العلم في هذه المسألة ما لم يأتهم، بحيث أن ثنائية: "الجبر" و"الاختيار" التي أقضت مضاجعهم، لا تثير بالنسبة لنا أي إشكال، لأننا صرنا نعلم ما نحن مجبرين فيه وما نحن مخيرين فيه، ولنقول بأننا لا نحتاج وفي المطلق إلى التعرف على أفكارهم أو مقولاتهم المبتدعة بأفق عصرهم المتجاوز، اللهم من وجهة تاريخ الأفكار، عملا بقوله تعالى: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت.

وأضاف رحمه الله:

العلوم البحتة والإحالة المادية :

كذلك من المؤشرات المنهجية القرآنية الكونية الظواهر المتعاكسة في قانون الطبيعة فحين يفترض علمياً أن ينتج عنصران مختلفان نتاجاً محدداً نجد أن التفاعل بين عنصري الماء " الواحد " والتربة " الواحدة " يؤدي إلى تنوع وتعدد لا متناه ، ليس دليلاً على إعجاز علمي ولكن كدليل على كونية الخلق حيث تتفاعل عناصر الكرة الأرضية بكافة منظومتها الفضائية دون أن يقول لنا القرآن كيف ؟ فذاك عمل علماء الطبيعة .

ونجد الآيات الدالة على نتاج متعدد ومتنوع ولا متناه من تفاعل عنصرين آحاديين مختلفين في سورة الرعد: وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(4) – الرعد / ج 13. فالتربة واحدة (قطع متجاورات) والماء واحد (بماء واحد).

كما نجد تناقض ذلك في سورة فاطر حيث ينتج عنصران مختلفان نتاجاً واحداً مشتركاً: وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(12) – فاطر / ج 22.

وفي الحالتين لا يعطينا القرآن القوانين العلمية التطبيقية ولا النظريات فهذا كما قلنا عمل العلماء ، وإنما يعطينا مؤشرات منهجية على كونية الخلق **لنتجاوز الإحالة الفلسفية** لقوانين الطبيعة باتجاه المادية ، فالتخليق الإلهي يمضي كونياً لأبعد من ضوابط "التشيؤ الطبيعي" التي لا يدرك كونيتها المطلقة الإنسان وبما يمضي لاستخراج الحي من الميت والميت من الحي

وإلى لا متناهيات التعدد والتنوع بحيث تستحيل الإحالة الفلسفية الوضعية والمادية للعلوم الطبيعية.

وهذا ما تقترب منه الآن إبستومولوجيا المعرفة العلمية النسبية والتفكيكية المعاصرة. وهذه هي مهمة "إسلامية المعرفة"

قلت (عمراني):

رحم الله حاج حمد، فهو لم يكن يدرك كالكثير غيره المشتغلين بالعلوم الهشة، أن المنظومة الغربية لا تنتج الأفكار بمعزل عما يجري في المختبرات. ومتى تكرست فكرة في المختبر وأثبتت نجاعتها التحليلية أو التفسيرية، فلا يسع أصحاب العلوم الإنسانية، على اختلاف مشاربهم سوى استعارة المفاهيم ونقلها إلى حقولهم، على ما فصلنا ذلك في كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس؟"

والعلم الصلب هو ما يتيح لنا استكشاف المعاني الكامنة في الآيات لنتدبرها بإسقاطات على الوقائع المتجلية، ويسنح لنا أن نسائل النص مجدداً ليتفتق بالمعنى.

وهو ما لا يتيحه الشطح الصوفي ولو ظل صاحبه يمعن في قراءته الخرقاء لألف عام، على ما أثبت فعل حاج حمد نفسه!

ومن هذا الملحظ، فتفكيكية جاك دريدا مثلاً دردشة لملء الزمن الفارغ، ولا تؤثث لأية معرفة كانت اللهم في عرف المتخلفين. كما وأن نسبية آينشتين، لا علاقة لها بالمفهوم المبتذل المتداول بين أصحاب العلوم الإنسانية!

وهذا غيض من فيض.

فإلى أن تصبح عندنا دولة بالمعنى الحديث، وليس دول المحصلات الصفرية، القاصرين الذين لا يبرحون أماكنهم، ويكون للبحث العلمي وتسخيره أولوية من أولوياتها القصوى، فسيظل التهريج، وقلة الفهم، والتعالم الواهم أسياد الموقف، ولا أبدع مما كان!

انتهى

ويليه الجزء الرابع